

تعبئة البناء شجرة طيبة

المناسبة: أسبوع الدفاع المقدس.

المكان: طهران - حسينية الإمام الخميني قدس.

الحضور: الآلاف من الشباب وأعضاء تعبئة البناء.

الزمان: 1389/06/31 هـش 1431/10/13 هـق 2010/09/22 م.

4321

أولاً أرحب بكم أيها الشباب الأعزاء، أبنائي الأوداء، الإخوة والأخوات الناشطون الملتزمون الذين أضفتمم الألق والرئوق على البلاد والمجتمع وهذا العهد من الزمان بتواجدكم وقوتكم وطاقاتكم وشبابكم وحماسكم وأملككم وإيمانكم، وجعلتم التاريخ شامخاً مرفوع الرأس.

نقول بدايةً بعض الشيء عن رفعة مكانتكم التي تتحلون بها اليوم أيها الشباب الأعزاء، سواء أتم الحاضرون في هذا المحفل الحميمي أو عشرات الآلاف وربما مئات الآلاف من الشباب السائرين في هذا الدرب، لكنهم لم يحضروا اليوم هنا. وما أريد قوله هو: يا أعزائي، الكل يغبطكم على شبابكم الذي تقضونه في هذه الفترة من الزمن. هذا الشباب، وأن يعيش الإنسان شبابه هكذا، وينفق فترة شبابه العزيزة الثمينة بهذه الطريقة أمر يبعث على الغبطة.

في أية مشاعر، وأوهام، وأعمال يقضي الشباب في سنكم وفي بلدان مختلفة من العالم حالياً سن شبابهم العزيز القيم؟ في أكثر البلدان تقدماً تعلقو

أغبرة اليأس والكآبة واللاهلفية حياة الشباب الجميلة. الكثير من الشباب لا هدف لهم سوى تحقيق آمال مادية صغيرة وتافهة خاصة بهم. لا يذوقون لذة خدمة الآخرين، ولا ينفقون طاقة الشباب العظيمة النادرة في السبيل اللائق بها. والكثير منهم لا يفتقرون للأهداف السامية وحسب، بل ليس لهم أهدافهم أساساً، ويقضون الحياة يوماً غارقين في الماديات والشهوات العابرة الباعثة على الاكتئاب. لا يفهمون شيئاً عن تلك الروح المعنوية المتألثة التي يتحلى بها الشاب المتدين المؤمن العاشق للخدمة والمتوجه نحو أصل الحب والجمال والحقيقة. شبابكم موضع غبطة مثل هؤلاء الناس لو كانت لهم أعين البصيرة.

اعرفوا قدر هذه الفترة وهذا التوجه وهذه الروح والمعنويات. اعرفوا قدر نعمة الخدمة والقدرة على الخدمة التي أهداكم الله تعالى إياها. اشكروا الله واسألوه أن يضاعف لكم هذه الكنوز المعنوية. واعلموا أن أي مجتمع وأي بلد يتمتع بمثل هذا الرصيد العظيم الثمين سيستطيع بلا أي شك الوصول إلى أعلى قمم العزة والعظمة. وهذا هو المصير المحتم لمجتمعكم وشعبكم والسبب في ذلك والمحرك الذي يدفع هذه المسيرة هو هذه الروح التي تتحلون بها.

طيب، لنذكر شيئاً عن هذه الحركة العظيمة لتعبئة البناء، ومخيمات الهجرة التي بدأت رسمياً منذ عشرة أعوام. طبعاً يجب أن اعترف أن هذا المشروع انطلق أول مرة من قبل الشباب أنفسهم. الشباب الجامعيون وطلاب المدارس أنفسهم بدأوا هذا التحرك. في سنة 79 وصلتنا تقارير هذا التحرك الجميل العظيم وأدى إلى إعلان نداء تعبئة البناء لكل شباب البلاد. أي إن هذا المشروع كان تحركاً جماهيرياً تلقائياً يشبه على وجه التحديد جهاد البناء في بداية

الثورة. جهاد البناء أيضاً كان على هذه الشاكلة حيث بدأه الشباب أنفسهم وساروا نحو القرى والأرياف واشتغلوا في الخدمة في تلك الظروف والأحوال الصعبة المعقدة. ودفع هذا التحرك الإمام الجليل وشجعه على إصدار الأمر بجهاد البناء. أعمال الناس تلهم المدراء والمسؤولين قراراتهم ومبادراتهم.

حسناً، ما هو العامل المُسبِّب هنا؟ إنه الحب، والإيمان، والبصيرة، والهمة. هذه هي الأعمدة الأصلية. العشق والإيمان. الإنسان الذي لا إيمان له لا يمكنه أن يتصور محوراً لتحركه. الإنسان الذي لا يتحلى بالمشاعر القلبية العاشقة العميقة لن يكون بمستطاعه مواصلة هذه المسيرة. الإنسان المفتقر للهمة يكتفي بالأعمال الصغيرة والحدود القريبة، ولا يرمق بنظره أعلى القمم. الإنسان الذي لا بصيرة له يسير في الدرب الخطأ، وحتى لو كان فيه عشق وإيمان فسوف ينفقهما في الطريق الخطأ. العشق والإيمان والبصيرة. هذا ما منحته الثورة لشعبنا ومجتمعنا. ومن هنا أضحت الثورة تلك الشجرة الطيبة التي يذكرها القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...﴾⁽¹⁾. الكلمة الطيبة كالشجرة السليمة الطيبة الأصل. ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، إنها شجرة متجذرة ولها جذور عميقة وقوية وأغصان وأوراق كثيفة. ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾. تؤتي ثماراً بحسب الفصول وحسب احتياجات البشر. هذه هي الكلمة الطيبة. والثورة هي مثل هذه الشجرة. الطريق الثوري الذي فتحه إمامنا الجليل - هذا السالك الحقيقي لطريق الطيبين والأولياء والشهداء والمعصومين والصدّيقين - لنا هو مثل هذه الكلمة الطيبة.

(1) سورة إبراهيم، الآية 24.

ذات يوم كانت هناك حاجة للعمل والتحرك الدفاعي داخل المجتمع، وذات يوم كانت الحاجة للعمل الدفاعي على حدود البلاد، وفي يوم آخر كانت هناك حاجة للعمل والمعرفة. وفي يوم كانت هناك حاجة لتكريس العقيدة والإيمان، وفي يوم تظهر حاجة للخدمة والعمل. في كل هذه الظروف يجني الناس ثماراً تتناسب مع فصولهم وظروفهم. هذه هي حركة الثورة.

توهم البعض أن الثورة أصبحت قديمة وبالية. وأعلنوا أن الثورة قد انتهت! كانوا هم الذين انتهوا. هم الذين نفذت ذخائرهم ومخزونهم ولم يستطيعوا مواصلة الطريق. قارنوا الدنيا والمجتمع والثورة بأنفسهم فأخطأوا. ﴿... نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ...﴾⁽¹⁾. حينما تنقطع العلاقة بالله لن يعود بمقدور الإنسان أن يعرف حتى نفسه بصورة صحيحة، فما بالك بمجتمعه أو مبادئه ومثله. كيف يقطع الإنسان علاقته بالله؟ حينما تتغلب الأهواء والميول المادية ومحورية الذات على نفس الإنسان، فتتحول هذه الجاذبيات إلى خيوط عنكبوت تلتف حول كائن الهمّة والإيمان الضعيف وتقصده وتقضي عليه. كان لدينا أناس من هذا القبيل. شهدنا أمثال هؤلاء في الماضي وسنشهدهم في المستقبل أيضاً. هؤلاء مصاديق التساقت. الذين يتخلفون عن طريق الثورة ومسيرتها ليسوا بالضرورة أفراداً ناصبوا الثورة العداء منذ البداية. حينما تتغلب الدوافع المادية على الإنسان سوف يتوقف عن مواصلة المسيرة. وعندما تتحول الأهداف الصغيرة التافهة الشخصية كالحصول على المال والمنال والثروة والبهاج،

(1) سورة الحشر، الآية 19.

والوصول إلى الرئاسة والسلطة إلى هدف رئيسي للإنسان فسينسى هدفه الرئيسي.

في مسيرة ما حينما نروم الوصول إلى مكانٍ ما أو هدفٍ ما، إذا وجدنا في الطريق حقلاً أخضر، أو ينبوع ماء، أو مقهى جيداً، وتضعضت خطواتنا وإرادتنا واعتبرنا ذلك الشيء الجميل هدفنا وارتحنا له ورضينا بأن نقضي وقتاً ممتعاً فيه فسوف ننسى هدفنا ولن نواصل الطريق. هذا بلاء حلّ بالبعض، وقارنوا الآخرين بأنفسهم فقالوا إن الثورة انتهت والإمام نسي، لكنهم مخطئون. الثورة حقيقة إلهية تعتمد على إيمان الجماهير ومشاعرهم العاشقة وبصائرهم. وهل يمكن أن تنتهي الثورة؟ لذلك قلت مراراً وأقول الآن أيضاً: جيلنا الشاب اليوم وهو جيل الثورة الثالث إن لم يكن إيمانه وحماسه وبصيرته أعظم من الجيل الأول فهو ليس بأقل يقيناً.

في ذلك الحين كان الكثيرون ينزلون إلى الساحة ولا يستطيعون البقاء فيها. والشاب اليوم بكل هذه الوسوس التي تحيط به وبكل هذه الوسائل الإعلامية المادية والأنانية والشهوانية، حينما يأتي الدور لأداء الواجب نراه يضحّي هكذا وينزل إلى الساحة هكذا. هذا شيء له قيمة كبيرة جداً.

اعرفوا قدر تعبئة البناء ومخيمات الهجرة هذه. أنتم المحاور الرئيسية لهذه الحركة العظيمة. اعرفوا قدر هذا، واشكروا الله تعالى. وعلى المسؤولين والآخرين والمدراء والذين يتولون المسؤوليات والأعمال أن يعرفوا بدورهم قدر هذه الحركة العظيمة. اقرأوا دروسكم بصورة جيدة خلال السنة الدراسية،

ادرسوا بطريقة بحثية، واقصدوا الوصول إلى قمم العلم. وخلال أوقات الفراغ أثروا ساعاتكم وأيامكم ولياليكم ونهاراتكم بهذه الحركة الجميلة الرائعة.. حركة تقدم الخدمة للناس.

من بركات مخيمات الهجرة وتعبئة البناء تقديم الخدمة للناس حيث يستفيد الملايين من خدماتكم بشكل مباشر. يستفيدون من الناحية المادية وفيما يتعلق بالشؤون اليومية للحياة، وكذلك من الناحية المعنوية ومن حيث الهداية. حتى لو لم تقيموا هناك دروساً في القرآن فإن مجرد تواجد الشاب المؤمن المتدين المتشجع في منظومة ريفية بين الشباب والناس سيجعله مظهراً متجسداً للآيات القرآنية، وسوف يحضّ الناس ويدعوهم إلى الدين، والثورة، والمعنوية. «كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم»⁽¹⁾. ادعوا الناس إلى الإيمان والإسلام والدين بأعمالكم. هذا هو تقديم الخدمة.. الخدمة المادية والمعنوية. والأهم من هذا هو الخدمة التي تقدمونها لأنفسكم حيث تفجرون مواهبكم الداخلية، وتفعلون الإمكانيات الكامنة في بواطنكم، وتكتسبون التجارب، وتتعرفون على حياة الناس، وتحطمون الأسوار الطبقية، وتلمسون واقع الحياة، وتشعرون داخل أنفسكم بالبهجة والشغف لتقديم الخدمة، وتحبون هذه المشاعر داخل أنفسكم. الذي يتذوق لذة الخدمة والعمل لن يتعب من العمل. كما قيل في تقارير الإخوة الأعزاء، وقد قرأت هذا سابقاً في تقارير أخرى فإن الشاب الذي يكتشف هذه اللذة في نفسه لن يتعب من تقديم الخدمة. هذه هي الفائدة الثانية

(1) بحار الأنوار، ج 67، ص 309.

وهي كبيرة جداً.

الفائدة الثالثة هي أنكم سفراء العمل والجد. حينما تتواجدون في بيئة معينة.. في الصحراء مثلاً والجبال والمناطق البعيدة وبين الناس الفقراء المحرومين وتعملون، فسوف يستلهم الشاب هناك ما تقومون به، وتصبحون سفراء الجد والعمل والخدمة والجهاد. ﴿... وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾⁽¹⁾ إنكم تحيون القلوب، وهذه فائدة كبيرة. ثمة الكثير من الفوائد في هذا العمل، فحافظوا على هذا التيار العظيم.

أعزائي، بلدكم وشعبكم يسير في منعطف تاريخي خطير. منذ ثلاثين عاماً ونحن نسير في هذا المنعطف. واجهتنا مناطق خطيرة وتجاوزناها لكنها لم تنته. هذا المنعطف التاريخي الحساس لا يختص بتاريخ إيران فقط، بل بتاريخ الأمة الإسلامية كلها. الأمة الإسلامية المصابة بالركود منذ قرون، وتعرض للإهانة، والمتخلفة عن ركب الحضارة، والمبتلاة ببعض أو الكثير من الحكام والساسة الفاسدين المستبدين، حان يومها الآن لتتحرر من كل هذه الأعباء والمشكلات والأدران والمعضلات. لقد قطع شعب إيران الخطوة الأولى الواسعة. العالم عالم التناقضات والصدمات والحروب.. عالم الصراع المادي بين القوى.. القوى التي لا تريد أن ترفع الشعوب المستقلة رؤوسها وتشعر بشخصيتها ووجودها.. هذه القوى سوف لن تقعد ساكنة ساكنة بلا حراك. خصوصاً وأنهم يعلمون أن الأمة الإسلامية تتمتع بموهبة ذاتية تنبع من الأحكام الإسلامية، لذلك

(1) سورة المائدة، الآية 32.

يصطفون حيالها ورأيتم كيف اصطفوا. منذ بداية الثورة ظهر الاصطفاف بين جبهة المستبدين الدوليين والجشعين العالميين وبين شعب إيران الكبير الشجاع. يُوهمون الناس بأن الهدف هو إيران، لكن هدفهم الحقيقي هو الإسلام. الهدف هو الأمة الإسلامية. يعلمون أن المحرك الذي يشعل هذه المسيرة العظيمة هو المعنوية والقرآن والإسلام. لذلك يعارضون الإسلام والقرآن. طبعاً الرائد الذي يقف في مقدمة الصف هو الشعب الإيراني وهم يوجهون الضربات لهذا الرائد. بيد أن هذه القوة الريادية الهائلة لم تضعف بعد مضي ثلاثة عقود، ولم تنزل أقدامها، ولم تخر عزيمتها، ولم تتراجع إلى الوراء، وليس هذا وحسب بل زادت من سرعتها وثباتها.

قلت مراراً وهذا القول ليس بشعار بل واقع: هممتنا وبصيرتنا وقدراتنا المتنوعة اليوم أكبر بكثير مما كانت عليه قبل ثلاثين سنة. هداية الثورة وروحها واتجاهها حقائق لم تصبح قديمة باليةً فينا.. الشيء الذي كانوا يتمنونهُ. والشاهد على ذلك هم هؤلاء الشباب. خير شاهد على ذلك هم أئمتهم أيها الشباب الأعزة.. هذا الجيل المتوثب الحيوي ذو البصيرة والهمة والوعي والمتواجد في الساحات المختلفة.

إذا كان الكلام عن أعمال تقنية معقدة وقف هؤلاء الشباب وقفتهم، وشبابنا هم الذي يديرون الطاقة النووية. وفي مجال الخلايا الجذعية ينشط الشباب أيضاً، وفي تقنيات البيئة، وتقنيات النانو، ومختلف أنواع التقنيات، أينما ذهبنا وجدنا الشباب يعملون.. الشباب الذين لم يشهدوا فترة الحرب، ولا التقوا

بالإمام الخميني، ولا يحملون خواطر وذكريات عن بداية الثورة. إذن، فالمسيرة مسيرة حيوية متوثبة متجددة. حينما نأتي إلى ساحة العمل والخدمة والجد نرى هذه الحركة العظيمة، حركة تعبئة البناء. وحين نأتي إلى مضمار السياسة والمشاركة نرى حركة التاسع من دي، وحركة الثاني والعشرين من بهمن، والمشاركة الهائلة في الانتخابات.. ما معنى كل هذا؟ معناه أن شبابنا اليوم - وهم الأكثرية الغالبة في شعبنا - وعموم جماهيرنا يتقدمون بنفس اتجاه الثورة الإسلامية وبنفس المعنويات وبسرعة أكبر. إذن، لقد تقدمنا إلى الأمام.

والأعداء في الموقف المعاكس تماماً. كانوا يومذاك أقوى وهم اليوم أضعف وكان أمله في ذلك الحين أكبر ويقولون إننا سننقضي على النظام والثورة في ثلاثة أيام، ثم في أسبوع، ثم في شهرين، واليوم لا يسمع منهم أحد مثل هذا الكلام الهراء، فقد يسوا وتراجعوا. إذن، هذه الحركة حركة نحو الأمام. إننا نتقدم في هذا المنعطف التاريخي العظيم بحیطة وتدير ووعي ودقة وطاقه كبرى. وهذا بسبب عدة عوامل رئيسية. من هذه العوامل أنتم الشباب. أنتم الذين تتقدمون بالبلاد إلى الأمام. تواجد الشباب من المحركات القوية الدافعة إلى الأمام. على الجميع تثمين مشاركة الشباب ومعرفة قدرها، وسوف تتنامى هذه الروح بين شبابنا أكثر فأكثر إن شاء الله.. سواء الفتيات منهم أو الفتيان، وسواء في البيئه الجامعية أو بيئه الثانويات، أو البيئات الاجتماعية المختلفة.. وهذا ما سيحصل. الكلام اليأس والناجم عن الكآبة لن يؤدي إلى أية نتائج، وغالباً ما يكون سببه اليأس والكآبة لدى قائله.

هذه الأيام ذكرى بدء الحرب المفروضة. ثمانية أعوام تكاتفت جميع القوى العسكرية في العالم ضد إيران. صحيح أن أمريكا والاتحاد السوفيتي السابق لم يبعثا جنودهما عملياً إلى ساحة القتال - إنهم لا يبعثون الجنود، إذ لا حاجة لإرسال الجنود، الشعب العراقي المسكين كان أسيراً في أيديهم - لكنهم بعثوا التجهيزات والمعدات، وخطط الحرب، وصور الأقمار الصناعية عن ساحة الحرب، وزودوا بها صداماً، وبعثوا له المال، ووفروا له الاعتبار السياسي.. فعلوا كل ما استطاعوا ضد الثورة، وضد الإمام الخميني، وضد النظام، وكانوا يفتعلون الأكاذيب والإشاعات والإعلام ويبثونه. فعلوا كل هذا فما كانت النتيجة؟ أين صدام اليوم؟ صدام الذي قدّموه لمجابهة شعب إيران العزيز والثورة الإسلامية والإمام الجليل، ذاق في البداية طعم الذل الشديد ثم مات وفارق الحياة منكوباً خاسئاً. بينما الإمام الخميني حيّ، والثورة حية، وأبناء الإمام أحياء، وشعب الإمام حي. هذه تجربة.

وهذا سيكون مصير كل الذين يتقدمون ويقفون في الخطوط الأمامية لجبهة الاستكبار العالمية لمجابهة إيران الإسلامية. هذه تجربة، وستكون النتائج نفس النتائج في المستقبل أيضاً. سيبقى الإمام حياً وستبقى الثورة حية وستبقون أنتم أحياء، وسينكب أعداؤكم ويتراجعون. يجب أن تصل هذه المسيرة إلى القمم العليا لأهداف الثورة، وستصل بفضل من الله وبحول الله وقوته.

اعرفوا قدر أنفسكم، واعرفوا قدر هذا الطريق الذي تسرون فيه، وامتّنوا وشائج قلوبكم الطاهرة النقية بالله يوماً بعد يوم، واطلبوا العون والمدد من الله

تعالى. هذا الشعور بالمسؤولية الذي تتحلون به زيدوه يوماً بعد يوم، واتركوا تأثيركم في محيطكم وبيئتكم كالمشعل الذي يضيء حوالبه. أينما كنتم في البيئة العائلية، وفي بيئة العمل، وفي محيط الدراسة، أوفي أوساط المجتمع أثروا على المحيطين بكم. سوف تزداد أطفاف الله تعالى يوماً بعد يوم، ولن يرفع الله تعالى يد لطفه عن شعبنا الحبيب إن شاء الله. نرجو أن تشملكم جميعاً أدعية سيدنا بقية الله (أرواحنا فداه)، وسيحفظكم الله جميعاً أيها الأعداء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

